

الغنية البلبالية " قراءة في الشكلية "

Al-ḡuniya el-Balbalia -Reading in Formality-

محمد بن علال بوعلالة¹، الأستاذ الدكتور: محمد دباغ²BOUALLALA Mohamed¹, DEBAGH Mohamed²1 جامعة أدرار (الجزائر)، mohamedallal1975@gmail.com2 جامعة أدرار (الجزائر)، debagh@hotmail.com

تاريخ النشر: 2022/07/14

تاريخ القبول: 2022/07/05

تاريخ الاستلام: 2022/04/20

الملخص:

تناول موضوع هذه الدراسة قراءة في الجانب الشكلي لموسوعة الغنية البلبالية، تجاوز الباحث بها ظاهر الجانب المقروء و غاص بها في أغواره، فكانت له ذريعة للكشف عن العناصر المنهجية التي انتظمت من خلالها المادة العلمية الغزيرة للغنية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة بياناً لأصل الغنية البلبالية، وللراجح من الخلاف في نسبتها، كما جاءت بلمحة تعريفية بمؤلفيها والمنهج الشكلي المتبع في بنائها، الذي جاء شاهداً للمؤلفين بالعبقرية في التصنيف والاقتدار على البناء المعرفي المحكم و عرض المضامين في شكل حسنٍ يسهل معه على المتواضع في الفهم فهمها من كل جوانبها و بكل أبعادها.

الكلمات المفتاحية: الغنية البلبالية، الشكل، الجمع، النسبة، الترتيب.

Abstract:

This research paper explores the encyclopedia of Al-ḡuniya EL-Balbalia in terms of its form. The researcher goes beyond the superficial reading of the manuscript and conducts a profound perusal of its content. This type of scrutiny helps in revealing the methodological elements upon which the rich scientific material of Al-ḡuniya is structured.

The study also probes the origin of Al-ḡuniya EL-Balbalia, and attempts to resolve the disagreement over its authorship. Within the paper, a brief overview of the encyclopedia's authors and the approach adopted in its composition will be given. This approach stands as a witness to the genius of those authors, especially in terms of their writing skill and capability of building solid knowledge that is presented in such a way that even the uninitiated can adequately comprehend it.

Keywords: Al-ḡuniya EL-Balbalia, Form, Compilation, Authorship, Organization.

المؤلف المرسل: محمد بن علال بوعلالة، الإيميل: mohamedallal1975@gmail.com

1. مقدمة:

الحمد لله الذي لا إله إلا هو المتفرد بصفات الجلال والكمال والجمال، والصلاة والسلام على رسول الله خير الأنعام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن من أهم المصادر المرجوع إليها في البحث العلمي من قبل التواتيين، كتاب غنية المقتصد السائل، وذلك لما يوفره من مادة علمية غزيرة ودقيقة، فالناظر فيه يظفر لا محالة بصورة من الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، وحتى السياسية.

ومعلوم أنه مهما بلغت المادة العلمية بأي مصنف من الوفرة والدقة، فإنه لا ينتفع بها إلا إذا عرضت بلغة بيانية واضحة وأسلوب سهل ميسر، وفي شكل حسن يستهوي الناظرين.

ومنه وعليه ظهر وبان لي أن استكشف أمر هذه القضية في موسوعة غنية المقتصد السائل، متبعاً لتحقيق ذلك سنة غيري من الباحثين الأكاديميين في بحث المسائل انطلاقاً من إثارة تساؤلات حولها، الجواب عليها من شأنه هدايتنا لدرك حقائقها.

إشكالية الموضوع:

من خلال طرحنا للموضوع نتبلور لنا معالم التساؤلات التالية:

- ما هو المنهج المتبع في جمع وترتيب المادة العلمية المتنوعة والوافرة بالغنية البلبالية؟
 - هل خرجت في شكل حسن يسهل معه التقاط دررها؟
 - وما هو الملفت للانتباه في منهج وترتيب المادة العلمية للغنية البلبالية ؟
- هذا ما سأحاول الإجابة عليه من خلال هذا البحث الموسوم بـ " الغنية البلبالية، قراءة في الشكلية".
- أهداف البحث:

وأهدف من خلال هذا البحث إلى ما يلي:

- إلى إبراز موسوعة غنية المقتصد السائل كعطاء علمي أتاح فرصاً بحثية لطوائف من أهل العلم، للفقهاء، والقضاة، والمؤرخين وغيرهم، وضاهى في شكله ومضمونه بعض المدونات النوازلية المشتهرة في الحواضر الإسلامية غرباً وشرقاً.
- إلى الوقوف على مدى اقتدار فقهاء حاضرتنا التواتية المالكية على التأليف المفيد.

ولقد اخترت أن تكون خطة بحث الموضوع على النحو الآتي:

المطلب الأول: تحديد نسبة غنية المقتصد السائل.

المطلب الثاني: لمحة تعريفية بمؤلفي الغنية.

المطلب الثالث: قراءة في منهج الجمع.

المطلب الرابع: قراءة في منهج الترتيب.

2.المطلب الأول: تحديد نسبة غنية المقتصد السائل.

أصل غنية المقتصد السائل بحسب شيخ المؤرخين التواتيين محمد بن عبد الكريم البكري، سجلات مشاورات عبد الحق بن عبد الكريم البكري؛ قاضي الجماعة التواتية بوقته، ومحبي سنة الاستشارة القضائية بالديار التواتية (التمنيطي م.، صفحة 20)؛ وذلك أن القاضي محمد بن عبد الرحمان البلبالي المعروف بسيد الحاج، طالب بسجلاته ال ليسترشد بها في الاجتهاد القضائي فأعطىها.

ثم بداله - رحمه الله - جعل مسائل سجلات عبد الحق أصلاً لمؤلف في النوازل، فأضاف إليها ما وقف عليه من قضايا ومسائل التواتيين، وبعض فروع الأئمة المجتهدين من مذهب مالك - رحمه الله -، وكل ذلك بمساعدة أبي فارس ابنه.

ولما توفي سيد الحاج البلبالي حمل المشعل من بعده ولده المذكور، الذي واصل العمل من بعده فتحصل عنده مجموعاً فقهيّاً ضخماً أطلق عليه إسم " غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل".
والثابت لدى الباحثين في شؤون الحياة الفقهية بالبلاد التواتية، أن غنية المقتصد السائل جاءت تتويجاً لجهدي عالمين جليلين من أعلام الأسرة البلبالية الكريمة؛ القاضي سيد الحاج وابنه، غير أن المصادر المتاحة سجلت لنا اختلاف الباحثين المذكورين على نسبتها، فمنهم من نسبها للبلباليين؛ الأب والابن، كالباحث عبد السلام موساوي في مقدمة تحقيقه لمسائل الطهارة والصلاة وسائر العبادات منها". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من مسائل الطهارة والصلوات وسائر العبادات إلى باب الإيمان و النذور، من إعداد: موساوي عبد السلام، 2010-2011، صفحة 24)، معتمداً في نسبته على معيار الاشتراك في العمل؛ فالكتاب إنما ابتدأ جمعه سيد الحاج البلبالي، وساعده في ذلك وأتمه من بعده ابنه أبو فارس.

أما الباحثة فاطمة حموني، فقد جنحت في مقدمة تحقيقها لمسائل المعاملات من " الغنية" إلى نسبتها لأبي فارس وحده، مستندة في ذلك لكلام ورد عنه في غنية المقتصد السائل وهو: " ولنورد ما وقفنا عليه مما يدل لما أجبنا

به في النازلة من نصوص العلماء، ففي الوصايا التي جمعناها المسماة بغنية المقتصد السائل". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 103)، كما احتجت لمذهبها هذا بكتابة الغنية بأسلوب واحد هو لأبي فارس.

ومن الباحثين من ذهب إلى نسبة الغنية للقاضي سيد الحاج البلبالي، باعتباره صاحب الفكرة والجامع الأول لمسائلها.

الترجيح في المسألة:

ونسبتهما للبلباليين هي المرجحة عندي؛ لاشتراكهما في جمع مسائلها، وإن كان أبو فارس (الابن) اختص بزيادة ظاهرة، حيث بالغ - رحمه الله - في تحرير المجموع الفقهي وخرجه من مسودته تحت عنوان: غنية المقتصد السائل فيما وقع في ثوات من القضايا والمسائل.

ويؤيد هذا بما جاء في الغنية نفسها ونصه: "قال كاتبه محمد عبد العزيز؛ وهو أحد جامعي هذه المسائل لكونه جمعها هو وأبوه رزقه الله رضا أمين". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 311)

وبالجملة فإنه يحسن نسبة غنية المقتصد السائل للبلباليين اعتماداً على معيار الاشتراك في العمل، - تماماً - كنسبة المسودة لآل تيمية، وأعتقد أن هذه النسبة مقنعة إلى حد بعيد؛ لما فيها من العدل المتمثل في اعتبار العاملين من غير إهمال لأحدهما

3.المطلب الثاني: التعريف بمؤلفي الغنية.

1.3 أولاً: محمد بن عبد الرحمان البلبالي (الوالد).

هو العلامة عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن أبي زيد بن عبد الكامل بن يوسف بن يحي الأنصاري الخزرجي (شاري، صفحة 01)؛ الشهير بسيد الحاج البلبالي، نسبة للعائلة البلبالية الكريمة.

وبحسب التقيد في نسب البلباليين لصاحبه الطيب شاري، فإن العائلة البلبالية وفدت على تبالة* من تافيلالت المغربية، وذلك أن أبا زيد جد البلباليين نزل بتافيلالت وتوفي بها عن أبي القاسم وأحمد الفقيه؛ اللذين ارتحلا فيما بعد عنها إلى تبالة واستوطناها قائمين بالتعليم والإرشاد والدعوة إلى الله.

ارتحل أبو القاسم عن تبالة إلى بني يخلف*، وبقي بها أحمد الفقيه فقيهاً مدرساً ومرشداً حتى توفاه الله أواخر القرن التاسع للهجرة عن خمسة أولاد هم: الحاج محمد وأبو القاسم، والحاج علي والحاج عبد الله المكنى

"نجم والحاج عبد الرحمان (شاري، صفحة 02)، وهؤلاء الخمسة كلهم انتقلوا إلى تسابيت * ج بأرض توات، ثم منها إلى بلدة أدغا * د، ثم إلى أرض غرب أدغا، اشتروها من امرأة و أقاموا لهم عليها قصراً أسموه ملوكة. * هـ ولد سيد الحاج البلبالي ببلدة ملوكة المذكورة، ليلة عرفة عام خمسة وخمسين ومائة وألف؛ ولذلك سمي بسيد الحاج ، كما هي عادة أهل توات في تسمية المزداد ليلة عرفة بذلك ". (البلباليان، غنية المقتصد السائل المقدمة وباب الجامع،- دراسة وتحقيقا- من إعداد: حاج احمد حسان، 2014-2015، صفحة 98).

ولما حفظ سيد الحاج كتاب الله على الشيخ عبد الله بن إبراهيم البلبالي ". (البلباليان، غنية المقتصد السائل المقدمة وباب الجامع،- دراسة وتحقيقا- من إعداد: حاج احمد حسان، 2014-2015، صفحة 98)، التحق بمجلس أبي زيد التتلاني فأخذ عنه، ثم على شيخ الشيوخ محمد -فتح- بن عبد الله الونقالي؛ الذي أقامه مقامه في التدريس بعد مرضه.

ثم جعل - رحمه الله- يتردد على مجلس ابن أبي زيد المذكور، فقرأ به القلصادي والرسومي وأعاد به الألفية. (عبد العزيز، 2002، صفحة 47)

تولى سيد الحاج البلبالي خطة القضاء بالديار التواتية عام: 1210هـ فرأت العامة منه الحزم والعدل، وبقي قاضياً حتى أصابه الكبر وظهر عجزه، وحينئذ تخلى عنه لولده محمد عبد العزيز؛ إذ لم يكن من يصلح لتوليته من إلا هو.

توفي سيد الحاج البلبالي ليلة الإثنين آخر جمادي الثاني عام: 1244هـ (عبد العزيز، 2002، صفحة 48) تاركاً لنا مع أبي فارس ولده موسوعة غنية المقتصد السائل وحواشي على ابن النجيب، لسوء الحظ لم تسلم من الضياع.

2.3 ثانياً: محمد عبد العزيز.

وهو العالم العلامة البحر الفهامة، القاضي محمد عبد العزيز بن محمد عبد الرحمان البلبالي، المعروف بسيد الحاج ، المولود - رحمه الله- ضحوة يوم الاثنين، الثالث عشر من شوال، عام تسعين ومائة وألف.

نشأ - رحمه الله- في كنف والده سيد الحاج البلبالي، وبقي ملازماً له ينهل من معينه الصافي، حتى إذا ما اكتمل تكون شخصه العلمي وتاقت نفسه إلى تنويع مشاريعه توجه إلى مجلس أبي زيد التتلاني، ومنه إلى مجلس ابن أبي زيد المذكور، ثم إلى مجلس أحمد زروق البداوي (ت: 1245هـ). (جعفري، 2009، صفحة 64)

ولما حصل بغيته المعرفية من المجالس المذكورة، جلس إلى التدريس فتخرج به جهابذة كبار؛ منهم الشيخ أحمد الحبيب، المرتب الأول لغنية المقتصد السائل، والمحدث البارع أحمد البداوي البكري، المتوفي عام: 1261هـ (عبد العزيز، 2002، صفحة 131)..

وبعد حياة حافلة بالعباء، توفي محمد عبد العزيز عام: 1261هـ (عبد العزيز، 2002، صفحة 61) مخلفاً لنا ذخيرة نوازلية؛ هي غنية المقتصد السائل.

4.المطلب الثالث: قراءة في منهج الجمع.

تقرر فيما سبق أن غنية المقتصد السائل اشترك في جمع مسائلها قاضيان هما: سيد الحاج البلبالي وابنه محمد عبد العزيز، وكل ذلك وفق منهج واحد مع زيادة محسوسة اختص بها الابن، دلت على دقته في البيان والتحليل، وقوته في الطرح، واقتداره على التأليف.

هذا وقد تميز عندي منهج الجامعين بجملة من المعالم والخصائص، التي سأقصد إلى تجليتها من خلال

النقاط التالية:

1.4 الأولى:

أن مؤلفي الغنية البلبالية، حرصا على جمع أكبر قدر من المادة العلمية في الفتوى بها، فقصدوا أولاً إلى جمع الاستشارات القضائية، الصادرة عن هيئة المستشارين المشكلة من قبل قاضي العدل عبد الحق البكري، ولذلك جاءت مليئة بفقرات مصدرة بكلمة "شورى"، ففيها: "شورى جوابها: الحمد لله وبعد: فقد تصفح كاتبه الشورى فظهر لي أن حاصلها: الأب إذا قبض صداق ابنته البكر...". (البلباليان، غنية المقتصد السائل باب النكاح و توابعه، دراسة و تحقيق: محمد ياسين الداوي، 2017-2018، صفحة 235).

والملفت للانتباه في هذا المثال أنه لم يذكر فيه نص الشورى، بل اقتصر فيه على ذكر نص الجواب بعد الإشارة إليها، وهذا النمط من المسائل الشورية هو الغالب بالغنية البلبالية.

أما تلك التي وردت بنصيها في السؤال وفي الجواب فهي نادرة، ومن الأمثلة عليها: "شورى جوابها: فأما حكمكم حفظكم الله على السيد أحمد ببطلان الصلح لاسترعاء فاطمة المذكورة على عدم التزامه، وإن إسقاطها إياه بعد ذلك لا يلزمها لنصها في استرعاها على عدم إسقاطه، ولو أسقطته صحيح كما لابن غازي في شفاة وتكميله مبيناً كلام ابن عرفة اهـ.

2.4 نص الشورى:

قد قام لدي كاتبه السيد الصديق بن الفقيه السيد أبي القاسم نائباً عن فاطمة بنت السيد أحمد على السيد أحمد بن سيدي في ربع دار ادعى أنه من جملة ما وهبته الحرة مريم بنت السيد بن سيدي، لابنتها فاطمة بنت السيد أحمد حرمة الله، فأثبتت الهبة.

فادعى السيد أحمد أنه وقع فيها منازعة بينهم فاصطلحوا وأثبت صلحه، فأظهر وكيلها رسم استرعاء من فاطمة المذكورة، على أنها صدر منها صلح مع خالها السيد أحمد، ونص شهوده أنه وقع قبل الصلح فأثبتت ذلك بإقرارهم على أنفسهم بالكذب، فأظهر الصديق أنه قال له في خصومة، ما تقول فيهم، فقال: ليس عندي ما أقول فيهم.

ثم أني تأملت فوجدت الصلح باطل بالاسترعاء، ولا يضره ما فعلته فاطمة من الإسقاط، إذ قد استرعت عليه ونصت على عدم سقوطه، ولو أسقطته وما استظهر به من جرحه الشهود ولا عترافهم على أنفسهم بالكذب في الحيازة في بعض أنواع هذه الهبة المتنازع فيها يرده إقرارهم بعدالتهم..... الخ... وانظر جواب ما ذكره الشهود في الشهادة". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 867)

2.5 الثانية:

أن مؤلفي الغنية قصدا إلى نقل مسائل الفقه المالكي من بعض مصادر المذهب المعتمدة، فقد جاء كتاب الغنية مليئاً بها وجاءت على نمطين:

الأول: مسائل تابعة لمضمون السؤال:

وهي كثيرة توحى للناظرين فيها بانضباط ناقلها بالضوابط التالية:

أ- الأمانة العلمية:

فمن عادة الجامعين فيما يسطرونه نقلا عن غيرهم العزو لناقله، والتحديد لمصدره، وأحيانا يبالغ الناقل في التوثيق فيذكر الناسخ، وأخرى يبالغ ويحدد الصفحة محل المنقول، من ذلك قول أبي فارس - رحمه الله-: " ووجدت بطرته بخطه إلا أنه مضروب عليه ما نصه: ابن عرفة: لا تجوز على حمل طعام إلى بلد كذا يصفه". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 431)

وقوله كذلك: "مسألة في رأس السلم وهي الإحالة برأس المال فيه، سئل عنها سيدي إبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن داود من لا يخاف، وهي في الورقة 17 من النوازل". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 458)

قلت: هذا عمل توثيقي وازن، لا يصدر إلا عن باحث حريص على صحة منقوله، و على تيسير البحث لمن أراد التأكد من صحة منقوله، وتلك هي الأمانة العلمية بعينها، وهو كذلك مما يشهد لفقائنا التواتيين بالوفاء لقاعدة: المعرفة يبينها اللأحق على ما أسسهُ السَّابِقُ.

وكأنني بأبي فارس-رحمه الله-؛ يقصد بالمبالغة هذه في التوثيق إلى إقناع الناظر في مسطوره بضرورة الالتزام به وإبراز شكله؛ لينبه القارئ إليه.

-بيان بعض المصطلحات: التي لا يدرك حقيقتها إلا أهل الصنعة الفقهية، مثل شرح أبي فارس للفظ الجماعة بقوله: "المراد بالجماعة العدول، لا ما يزعمه كثير من أنهم العوام". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 534)؛ فوضعه لهذا البيان بعد نص المسألة يعد من التشكيل المعرفي الذي يسهل معه فهم المكتوب، ويزيد من انتباه الناظر فيه.

ومن البيان المذكور بيان أسماء رموز الأعلام في كتب الفقه المالكي؛ كقول أبي فارس مبيناً لكلام أحمد بابا: "وبه أفتى شيخنا الإمام؛ يعني ابن عرفة - رحمه الله-". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 606)

ج- الشرح لما غمض من الألفاظ: وسواء تلك الواردة في نص السؤال أو في نص الجواب، وخاصة عند ما يتعلق الأمر بتلك الألفاظ المحلية، كما جاء في قول أبي فارس فيها: "وسئل عن التافسوت: وهي الذرة بلغة العرب". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 755) وقوله- أيضا-: "التركة: المراد بها على ما هو العرف الجاري في استعمال اللسان ولد الرجل ذكوراً وإنثاً". (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 525)

والأمر هذا يوحي للمتأمل فيه بأن أبا فارس-رحمه الله-، يلقن العلم بقلمه على النحو الذي يلقيه به بلسانه؛ فأحسنه-رحمه الله- لرسم المعارف دليل على حسن تصوره لها.

د- التعليق:

لم يكتف أبو فارس - رحمه الله- بنقل القضايا والمسائل من محالها وترتيبها فحسب، بل زاد على ذلك أن رسم إطاراً بعد الكثير من مسائل الغنية، وخصصه لتعليقه على الأجوبة الصادرة عن المفتين التواتيين وغيرهم. فمن عادة شيخنا أبي فارس المذكور، أنه يكتب بأول الإطار المخصص للتعليق قلت، ثم يتبعها بتعليقه الذي قد يأتي نقداً للجواب، أو مؤكداً لصحته، أو بما يؤكد ويعضده من كتب النوازل والفقه، أو بدليل عليه، ففي غنية المقتصد السائل سئل أبو زيد التتيلاني عن عامل رجلاً بسلم، وأحاله على دين له بذمة رجل فاستظهر دفع ذاك الدين في حوائج وقال له: خذ هذا الدفع مني حتى يشهد الشهود عليك، ويكتب عليك رسم الدين وارده لي غير وزن كذلك فتراضيا عليه وفعله، فهل يصح هذا السلم على هذا الوجه أم لا؟

فأجاب: الحمد لله، الجواب والله الموفق بمنه للصواب: أن المسلم إليه لابد أن يقبض رأس المال المسلم، فإن أحاله على دين له فقبض ذاك فلا يجوز؛ لأنه من بيع الدين بالدين والسلام. عبيد ربه تعالى عبد الرحمان بن عمر لطف الله به، واسمه في شكله.

قلت: هذه المسألة مما زدته بعد نسخ الأديب الفقيه سيدي محمد - فتحا- ابن البداوي وابن عمنا الفقيه سيدي أحمد الحبيب لهذه النوازل وترتيب الأخير منهما، فليعلمه الواقف عليه قال كاتبه: محمد عبد العزيز.

قلت: أنظر هذا التعليق الذي علل به منع الإحالة برأس مال السلم، مع ما نص عليه الفقهاء من أنها رخصة مستثناة من بيع الدين بالدين، ففي شرح ابن النجيب ما نصه: " عياض: الأكثر أنها رخصة: لأنها مباحة مستثناة من الدين بالدين والعين بالعين غير يد بيد: لأنها معروف، وأشار الباجي إلى أنها ليست كالبيع ولا هي من هذا الباب، بل هي من باب النقد، وفي حملها على النذب أو الإباحة قولان إه. (النجيب، صفحة 175)

فعلم من قول الأكثر أنها رخصة مستثناة، لأنها مما ذكر عدم صحة التعليق للمنع به فعليه إذا لم يكن له علة غير ذلك، لم يظهر وجه لمنعه والله تعالى أعلم قاله كاتبه محمد عبد العزيز " (البلباليان، غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني، 2014-2015، صفحة 280) فتأمل هذا.

وفي كتاب النكاح وتوابعه منها قال أبو فارس معلقاً على فتوى أبي زيد الجنتوري ما نصه: " قلت: قوله: وبه العمل؛ هذا إذا كانت المرأة موسرة حيث كانت متولية أمرها أو كان الأب حياً موسراً حيث كان هو متولي الأمر.

وأما إن كانت معسرة فلا يتصور إجبارها على التجهيز بالمشروط أو المعتاد، فلا يتصور هنا إلا القول الأول؛ أي بأنه إنما يلزمه من الصداق بذلك المقدار الذي دخلت به، أو بقي بعد أخذ العارية التي لم يعلم بها، وكذلك إن كان الأب ميتاً أو معسراً كما تقدم عن الحطاب.

وكذلك إن كانت ميتة فلا يتصور في هذه المسائل الثلاث إلا القول الأول؛ وهو الإسقاط لفوات البضع بالدخول وتعذر الشوار وكون الزوج لم يعلم إلا بعد البناء وهذا كله ظاهر لمن أنصف و الله أعلم.

قلت: ومن هذا المعنى - والله أعلم - ما ذكره ابن سلمون وابن هارون في مختصر المتيضية في النخلة فقفا عليهما ". (الباباليان، غنية المقتصد السائل باب النكاح و توابعه، دراسة و تحقيق: محمد ياسين الداوي، 2017-2018، صفحة 210)

إذا تأملت نص أبي فارس هذا، ظهر ويان لك أنه - رحمه الله - ، إتخذة محلاً لتوجيه فتوى أبي زيد الجنثوري؛ وهو عمل اجتهادي، وكذلك للإحالة على ما في معناها بابن سلمون.

وتلك هي عادة شيخنا أبي فارس - رحمه الله -؛ يفتح بأخر جل مسائل الغنية إطاراً، يجعله فضاءً لنشر كثير من الفوائد الجلية المتعلقة بالمسألة محل النظر عنده، فقد يعلق - رحمه الله - بما يفيد فقهاً، و أحياناً بما يفيد أصولاً، وأخرى بما يفيد تاريخاً أو سياسةً أو نحو ذلك. وفائدة تصرف شيخنا على هذا النحو هي: تلقين أكثر من درس في مجلس علمي واحد؛ أعني في مصنف واحد.

الثاني: مسائل مستقلة، هي في أغلبها من نقل أبي فارس - رحمه الله - تقيد فيه بمنهجي التطويل والاختصار، فقد كان يطيل لتكثير الفائدة ويختصر اختصاراً غير مغل عندما لا يرى ضرورة للتطويل.

وبالجملة فإن إخراج أبي فارس للمادة العلمية في الفتوى بالغنية على هذا الشكل البديع، له أثره في فهم القارئ لها؛ فإن ذلك من شأنه تزويده بكل مفاتيح المسألة في موضع واحد؛ وهو ما يدرأ عنه مفسدة تشتيت الذهن، ويجلب له مصلحة تجميعه؛ لأخذ المسألة بكل تفاصيلها.

ولا أدعي ولا أتجاسر على القول بأن هذه المنهجية الشكلية في عرض المادة العلمية الفقهية هي من ابتكار شيخنا أبي فارس - رحمه الله -، بل هي من ابتكار علماء الغرب الإسلامي عموماً؛ الذين صرفوا جل اهتمامهم في جمع النوازل وتدوينها.

غير أنه من الإنصاف القول بأن شيخنا أبا فارس - رحمه الله - أرانا من نفسه دربة قوية وقدرة عجيبة على تطبيق هذه المنهجية الشكلية أثناء صناعته للفقه والتحدث به بلسان تواتي.

5.المطلب الرابع: قراءة في منهج الترتيب.

إن اهتمام المؤلفين للغنية بجمع أكبر عدد ممكن من مسائل الفقه، صرفهما عن الاهتمام بالجانب الشكلي للتأليف، وأدى بهما إلى رسم مسائل في غير محالها اللاتقة بها، وإبقاء الكتاب برمته في مسودته، الأمر الذي دفع بالأجلين أحمد الحبيب ومحمد بن أحمد البداوي، نحو ترتيبه وتبيضه وإخراجه من مسودته. وبحسب تعليق أبي فارس المذكور أخيراً في المثال السالف البيان حصل من أحمد الحبيب في حياة أبي فارس، وقد جاء على النحو الآتي:

القسم الأول: جامع في القول والاعتقادات ونبذ من طريق الحكايات.

القسم الثاني: مسائل الطهارة وسائر العبادات، الزكاة، والصيام، والأيمان والطلاق وغيره، والنذور.

القسم الثالث: النكاح وتوابعه، الطلاق الخلعي، الطلاق وما يتعلق به، الإيلاء، المفقود، العدة، النفقات، الحضانة.

القسم الرابع: البيوع وما شاكلها من إقالة وحوالة وتصيير فاسد، وبيع الفضولي، والتوليغ، والقرض، والسلم، الرهن، الصلح، الضمان، الالتزام، المديان، الحجر، المدارات، مسائل الشركة والضرر، الوديعة العارية، الإرفاق، البضائع، الوكالة، الإقرار، الإبراء، العصب وسائر العداء، الاستحقاق، الشفعة، القسمة، القراض، المساقاة والمزارعة، الإجارة والأكرية ومضارعتها، الجعالة، موات الأرض وما جهل أربابه، الحبس وسائر العطايا.

القسم الخامس: القضاء والشهادات والدعاوي والأيمان، الحيازات الحراية والدماء وما يثبت منهما، الردة، السرقة، الزنا، العتق والوصايا والمواريث والفرائض.

وهذا الترتيب الذي اعتمده أحمد الحبيب شبيه إلى حد بعيد بترتيب أبي المودة خليل في تصنيفه لمختصره البديع مع مخالفة بسيطة تمثلت في تقديم باب الجامع.

أما ترتيب ابن البداوي فقد جاء مغايراً لترتيب أحمد الحبيب السالف البيان، حيث نجده ابتداءً بقسم النكاح وتوابعه، واختتم بقسم خامس اشتمل على الباب الجامع.

إذا تأملت في هذين الترتيبين، ظهر لك أن الترتيب الذي اعتمده أحمد الحبيب لموضوعات نوازل الغنية، يشبه إلى حد بعيد الترتيب المعتمد في المختصر الخليلي عماد الدرس الفقهي بالديار التونسية.

وهذا يعني أنه ترتيب مألوف لدى الفقهاء وطلبة العلم بالحاضرة يزيد به الناظر في موضوعات الغنية ارتياحاً في البال، ويبسر عليه فهم ما جاء به المقال.

ومما يزيده في الحسن عند ذوي الألباب، هو تقديم الباب الجامع فيه، بسبب ما تضمنه من معارف مساعدة على فهم مسائل الغنية، ولولا ذلك ما خالف أحمد الحبيب في ترتيبه خليلاً.

6. الخاتمة:

وبعد هذا التطواف العلمي في ثنايا هذا البحث ومناقشة محاوره يخلص الباحث إلى النتائج التالية:

الأولى: ترجيح أن الغنية من تأليف البلاليين؛ القاضي سيد الحاج البلالي وابنه أبي فارس، وذلك بالاستناد إلى معيار الاشتراك في العمل والأمر هنا شبيه بمسودة آل تيمية.

الثانية: أن المادة العلمية في الغنية البلالية - مع وفرتها - انتظمت من خلال ثلاث خطوات منهجية هي: الجمع، والتعليق والترتيب وهو منهج شكلي يتلاءم ومقصود صانعي مسائلها، فبالجمع تحقق مسمى الغنية، وبه ضمنت ما يغني الباحث العائد إليها في البحث، وبالتعليق اكتمل بيان مسائلها وفحص وتمحيص فقهاها، وبالترتيب سهل التقاط دررها.

الثالثة: أنه كما فرضت الغنية نفسها في الفتوى فرضت نفسها مرجعاً في منهجية التأليف، فالباحثون بإمكانهم أخذ بعض المعارف في التصنيف منها.

الرابعة: شهود حاضرة توات لفقهاء عابرة يمتلكون من الدربة على التصنيف، ما مكنهم من نسج مؤلفات فيها من الدقة والبيان ما الله به عليم.

أ * **تبالة:** واحة في صحراء الجزائر الكبرى نواحي تندوف، وهي الآن تابعة إليها إدرايا.

ب * **بني يخلف:** إسم لقصر من قصور ولاية بشار يبعد عنها جهة الجنوب بـ 30 كلم.

ج * **تسابيت:** لفظة بربرية، وتعني بالعربية، المكان المعزول عن الطريق والآن هي إسم لمجموعة من القصور تقع شمال مدينة أدرار بنحو 60 كلم.

د * **أدغا:** تعني بالطارقية، الصخرة وهي الآن تطلق على قصر تابع لبلدية أدرار

هـ * **ملوكة:** سميت كذلك لأن الاخوة الخمسة الذين ذكروا تملكوها شراء عن امرأة.

المراجع :

- إبن النجيب، شرح مختصر خليل، ل 1175. أدرار الجزائر: مخطوط بخزانة المطارفة.
- أحمد ابا الصافي جعفري. (2009). الحركة الأدبية في إقليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية القرن 13هـ. بئر التوتة - الجزائر: منشورات الحضارة ~ .
- البلباليان. (2014-2015). غنية المقتصد السائل المقدمة وباب الجامع،- دراسة وتحقيقا- من إعداد: حاج احمد حسان. أدرار-الجزائر: جامعة العقيد احمد دراية.
- البلباليان. (2017-2018). غنية المقتصد السائل باب النكاح و توابعه، دراسة و تحقيق: محمد ياسين الداوي. وهران - الجزائر: جامعة وهران.
- البلباليان. (2014-2015). غنية المقتصد السائل من بداية باب البيوع إلى باب الاستحقاق ، دراسة وتحقيق: فاطمة حموني. ادرار - الجزائر: جامعة العقيد أحمد دراية.
- البلباليان. (2010-2011). غنية المقتصد السائل من مسائل الطهارة والصلوات وسائر العبادات إلى باب الإيمان و النذور، من إعداد: موساوي عبد السلام. أدرار - الجزائر: جامعة العقيد أحمد دراية.
- الطيب شاري. تقييد في نسب البلباليين. ادرار - الجزائر: مخطوط بخزانة سيدس عبد الله البلبالي.
- محمد بن عبد الكريم التمنيطي. جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني. قصر باعبد الله - أدرار - الجزائر: مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد.
- محمد عبد العزيز. (2002). قطف الزهرات من أخبار علماء توات. الجزائر: دار هومة.